مقابلة

د. سلام الكواكبي:

قراءة لتطورات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا خلال 2021!

عبد النور تومي

أورسام: شهد عام 2021 توترات متصاعدة في المنطقة العربية مثل الملف الجزائري-المغربي، والصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، والأزمة الدستورية في تونس والسودان، وإنسداد سياسي في لبنان، و منعطفات جديدة في العراق، في حين ثمة تطبيع للعلاقات بين الدول الخليجية، وتقارب تركي-إماراتي، وتقارب تركي-مصري محتمل، وإنفراجة محتملة في الأزمة الليبية. ماهي قراءتكم لهذه التطورات؟

> بالنسبة لمن ندد بالتطبيع, الذي برأيي وعلى الشكل الذي تم به يستحق أشد التنديد, فيبدو أن تنديده محصور في أطر تسديد الحسابات البينية والانتقام السياسي المباشر المرتبط بقضايا ثنائية, مثل الذي حدث بين المغرب بوصفه أحد بلدان التطبيع والجزائر بوصفها أحد بلدان التنديد, بعيداً كل البعد عن صميم القضية الفلسطينية العادلة.

من هو سلام الكواكبي؟

أجرى د. عبد النور تومي الباحث في مركز أورسام مقابلة مع الدكتور سلام الكواكبي مدير المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات-فرع باريس. الدكتور سلام هو حفيد المفكر عبد الرحمن الكواكبي أحد رواد النهضة العربية. الدكتور سلام من مواليد مدينة حلب بسوريا 1965, وهو معروف في الأوساط الأكاديمية العربية, والغربية, بوصفه باحثاً في العلوم في السياسية وفي العلاقات الدولية. وهو حاصل على إجازة في الاقتصاد من جامعة حلب عام 1987. ودبلوم الدراسات العليا في العلاقات الدولية من جامعة حلب عام 1991. وفي العام ذاته, حاز على دبلوم الدراسات العليا من معهد الدراسات السياسية في إكس أون بروفانس في فرنسا, البلد الذي أصبح سلام الكواكبي, أحد مواطنيها, بعد حصوله على الجنسية الفرنسية عام 2002.

د. سلام الكواكبي: بالفعل تسارعت التقلبات في المواقف وأُعلن علنا عما لم يكن من الممكن الإفصاح عنه منذ سنوات قريبة، وتواترت الأحداث المفصلية في المنطقة، بحيث لم يكن أشد المتفائلين بتطبيع علني عربي إسرائيلي يتوقع ان يحدث بهذه العلنية وبهذه "الوقاحة" كما حصل في بعض البلدان دون الأخذ بعين الاعتبار، لا نتكلم عن المصالح القومية فهي منسية منذ عقود، بل المصالح الوطنية للبلدان المعنية بالتطبيع ذاتها. وبالنسبة لمن ندد بالتطبيع، الذي برأيي وعلى الشكل الذي تم به يستحق أشد التنديد، فيبدو أن تنديده محصور في أطر تسديد الحسابات البينية والانتقام السياسي المباشر المرتبط بقضايا ثنائية، مثل الذي حدث بين المغرب بوصفه أحد بلدان التطبيع والجزائر بوصفها أحد بلدان التنديد، بعيداً كل البعد عن صميم القضية الفلسطينية العادلة. والدول المطبعة مع إسرائيل هي ذاتها التي تعمل بنشاط تحسد عليه على تأجيج الثورات المضادة التي نجحت في مصر سنة 2013 ويبدو انها في طور النجاح في تونس منذ "الانقلاب" الدستوري في تموز الماضي. تفاؤل الشباب في المنطقة العربية بقرب حصول تغيير في إدارة الشؤون السياسية أصيب بصدمة. فالسودانيون يشعرون بان العسكر قد سرق منهم ثورتهم على الرغم من عودة الشراكة الشكلية مع المدنيين. ما حصل سنة 2021 من أحداث متعاقبة ومتراكمة شكّل من هذا العام حقبة تاريخية بذاتها تستحق التوقف عندها في المستقبل القريب لمحاولة تحليلها بكافة أبعادها وعناصرها.

أورسام: تمر المنطقة العربية، بخاصة تونس والسودان والعراق ولبنان، هذه الأيام تطورات قد تعيد الجماهير إلى تلك المسيرات الاحتجاجية التي هزت المنطقة، وأطلقت شرارة الموجة الأولى والثانية لثورات الربيع العربي، ماهي خيارات

الحكومات والفعاليات السياسية نخباً وأحزاباً في هذه البلدان؟

د. سلام الكواكبي: بعد العنف الوحشي الذي لجأ اليه النظام السوري لقمع ثورة الشباب، أعتقد بأن الأنظمة العربية، والتي ساهم قسم منها في تأجيج الأزمة السورية، ستستخدم هذا النموذج في إخافة شعوبها من أي تقدم باتجاه المطالبة بالتغيير. وقد سمعنا وقرأنا هذا الكلام إثر مظاهرات الحراك الجزائري الأولى كما في احتجاجات الريف في المغرب. حيث حذرت السلطات كما الاعلام المرتبط بها عضوياً من إعادة انتاج النموذج السوري. وبالتالي، فقد تم إرهاب الشعوب والحد من إمكانية خروجها في مظاهرات مطالبية محقة. وفي العراق مثلا، استطاعت الميليشيات المرتبطة بإيران أن تُجهض التظاهرات الشبابية وذلك من خلال قتل أبرز رموزها أو خطفهم. وأما في تونس، فالشعور بالإحباط من المؤسسة السياسية التقليدية قد رمي بالكثير من الناس في أحضان الديماغوجية الشعبوية التي تشكل خطراً ماحقاً على مسألة الديمقراطية. أما في لبنان، فعلى الرغم من الفقر المنتشر وعجز الدولة الخاضعة لإرادة حزب الله عن تأمين الحد الأدنى من الخدمات، فقد استطاعت الزعامات الدينية إعادة ترويض الجموع وسحب الجزء الأكبر من المحتجين بأمر "الزعيم". العودة ستكون صعبة نظراً إلى عامل الخوف المشروع إضافة إلى عامل الاستقطابات السياسية والدينية، وأخيراً، ضعف موقف الدول الغربية من الثورات المضادة وعدم الشعور بأي إحراج للتعامل معها ومساندتها تحت لافتة محاربة الإرهاب ومنع تدفق اللاجئين وتحقيق الاستقرار. الحكومات من جهتها، قد حددت موقفها من الحراك الاحتجاجي أياً كان شكله أو حجمه: القمع والقمع ومن ثم القمع.

أورسام: عرف عام2021 أيضا إنسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من أفغانستان بعد عشرين عامًا من سقوط كابول وإنهاء حكم طالبان، هاهي حركة طالبان تعود مرة أخرى للحكم، لكن هذه المرة بنبرة ساحرة تجاه المجتمع الدولي. ماهو التأثير الجيو-سياسي للأخطاء الأمريكية المتكررة في منطقة الشرق الأوسط؟

د. سلام الكواكبي: على الرغم من قناعتي بأن الإدارة الأميركية قد ارتكبت أخطاء متكررة والتي كان لها آثار مدمرة، إلا أنني اتردد في الحسم بذلك فيما يخص القضية الأفغانية. وسيُتاح للباحثين مستقبلًا الاطلاع على خبايا الأحداث التي تعرفها المنطقة. المشكلة الأساسية في السياسة الأميركية هي في دعمها للأنظمة الحاكمة ما دامت تؤمن لها نفطاً وتحافظ على مصالحها الشخصية وتشتري الأسلحة منها. ومن جهة مقابلة، لا يمكن للحلف الاميركي الإسرائيلي ان يتعرض للتهديد، وبالتالي فواشنطن، على الرغم من ابتعادها الملموس عن النزاعات المحلية والإقليمية، ستتدخل حتما في حال تعرضت حليفتها الحقيقية في المنطقة للخطر.

أورسام: كيف ترون سياسة الرئيس الأمريكي جو بايدن في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بعد عام من دخوله للبيت الأبيض.. هل هي استمرار للعقيدة التقليدية للسياسة الخارجية للديمقراطيين في المنطقة (أي بين الواقعية والواقعية الجديدة)؟

د. سلام الكواكبي: أكاد أن أقول إنه لا توجد سياسة أميركية واضحة فيما يخص المنطقة. وتجتمع العناصر التحليلية من خلال متابعة نشاط السياسة الخارجية الأميركية، لاستنتاج ربما يكون غريب وهو التالي: لم يحصل تعديل يذكر في السياسة الخارجية تلك وفيما يتعلق بالمنطقة العربية ومناطق الأزمات الأخرى وذلك منذ إدارة باراك أوباما. ربما تختلف التعبيرات العلنية عنها والتصريحات العامة حولها. هناك اذا استمرارية سلبية تدير نشاط هذه السياسة. مع تكرار التأكيد الدائم على موقع إسرائيل والحفاظ على تفوقها وعلى أمنها وهو ما يُمثل العنصر الأساس في السياسة الأمريكية في المنطقة.

أورسام: ما هي أوراق الرئيس الأمريكي مع آليات المسار التفاوضي لأزمة الملف النووي الإيراني؟ وكيف ترون سياسة إيران العربية؟ هل هي سياسة تكاملية أم توسعية؟

د. سلام الكواكبي: الإدارة الأميركية تسعى الى توقيع اتفاق مع إيران ولا تسعى الى اللعب على الوقت وهي تعتمد على الضعف البنيوي

للاقتصاد الإيراني وعلى الخوف لدى بعض دول الخليج من ايران، الذي يدفعها الى الاعتماد على واشنطن بشكل مستمر ومتعمق. من جهتها، إيران تتابع استخدام سياسة توسعية وتنفذها في بعض البلدان العربية كسوريا والعراق واليمن. وبالتالي، فهي لا تسمح بتطوير علاقتها البينية مع الدول العربية. لا يمكن تحسين علاقات إيران مع جيرانها العرب الا في عودة طهران عن تصدير هيمنتها المعتمدة على الروابط المذهبية، كما وفي سعيها إلى تحسين العلاقات القائمة على المصالح المتبادلة والاحترام السيادي.

أورسام: تعيش السياسة الخارجية الفرنسية العربية تراجعاً كبيراً في عهد الرئيس إيمانويل ماكرون، ماذا بقي من سياسة فرنسا العربية المعروفة التي حددها الجنرال ديغول في ستينيات القرن الماضي؟

د. سلام الكواكبي: تراجع السياسة الفرنسية في المنطقة العربية ليس مرتبطاً بحقبة الرئيس ماكرون وانما هي جزء من العجز المزمن في السياسة الخارجية الأوروبية وتبعيتها للخيارات الأميركية دون التمايز الواضح عنها. كما ان تركيز فرنسا، على توسيع أسواق الأسلحة تجاوز مساعيها نحو العمل السياسي المستدام. حاولت فرنسا ممارسة بعض الضغوط في الملفين اللبناني والليبي بالاعتماد على حسابات غير مؤكدة وقد فشلت بشكل كامل في احدها وهو الليبي كما نجحت جزئياً ووقتياً في الملف اللبناني.

أورسام: تعود روسيا إلى المنطقة العربية بقوة، وهذا في كل من ليبيا وسوريا من جهة ومصر والسودان من جهة أخرى، ماهي قرائتكم لهذا التموقع الجديد لموسكو في المنطقة العربية؟

د. سلام الكواكبي: روسيا تمارس كل الأساليب ليس فقط للعودة الهادئة للمنطقة، بل أيضا للهيمنة على أجزاء منها كما فعلت في سوريا وحاولت في ليبيا. تقايض موسكو عبر ممارساتها الحربية في سوريا مثلاً على عودتها كقطب دولي ثان يعادل القطب الأميركي في المشهد الدولي. وقد استفادت من استقالة واشنطن من الاهتمام بقضايا المنطقة في التفاصيل. موسكو تمارس ديبلوماسية العنف والتهديد ولها حلفاء موضوعيين في المنطقة كما لديها أنظمة مسلوبة السيادة تخضع لها.

أورسام: عرفت العلاقات الصينية-العربية خلال العقود المنصرمة فترات من الحذر؛ ولم تتقدم أي دولة عربية إلى التوصل إلى تحالف إستراتيجي شامل مع بكين، ما سبب ذلك؟

د. سلام الكواكبي: الصين لديها اهتمامات اقتصادية أساسية وتعمل غالباً في الظل وبصمت لكن النتائج كثيراً ما تكون فعالة. تحافظ على مبادلات كبرى مع دول الخليج وتوسع اهتماماتها نحو شمال افريقيا. وبكين لا تسعى الى تحالفات استراتيجية مع دولة بعينها بحيث لا يؤثر هذا الخيار على العمل مع دول أخرى. والصين تلتقي مع روسيا في دعم الأنظمة الاستبدادية ومساعدتها عبر التصويت لصالحها في المحافل الدولية كما فعلت بخصوص الملف السوري منذ 2011.

أورسام: ما هي الدروس المستخلصة من ثورات الموجة الأولى والثانية العربية، وهل المنطقة العربية مقبلة على موجة ثالثة للثورات العربية في ظل وضع صحي عالمي معقد: كوفيد-19 وأزمات إقتصادية وأمنية تعيشها المنطقة؟

د. سلام الكواكبي: أهم هذه الدروس هو ان قوى الاستبداد متجذرة في الحياة السياسية كما في المجتمعات. والتخلص منها يحتاج الى تعديل في الاستراتيجيات والابتعاد عن توقع المساعدة من قوى إقليمية او دولية مصالحها قد تلتقي مع سعي الشعوب الى الحرية أو العكس تماماً. ومن الدروس الأخرى هي عدم الثقة بالأحزاب العقائدية التي تعتبر بأنها تملك الحقيقة وتحرم المشاركة او تسمح لها وقتيا لتصل الى مرحلة التمكن وتزيح الشركاء لاحقا. يجب تعزيز ثقافة العمل التشاركي ودور المجتمع المدني مهما كان مقيدا لنشر ثقافة المواطنة التي تخرج العرب من حقبة الرعايا الى مرحلة المواطنين. لقد دفع العرب ثمناً بهظا لسعيهم الى التحرر من الاستبداد وتخلّى عنهم كثير ممن تحدثوا نظريا بالحرية وبالديمقراطية. هذا درس مؤلم لكنه قادر على تعزيز المقدرات الذاتية للشباب العربي في سبيل وضع خياراته أمام ما يختاره الآخرون له. ■

عبد النور تومي: باحث وأكاديمي من الجزائر، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية، خبير في قسم دراسات شمال افريقيا في مركز أورسام.